أدب الفقهاء

- ١٢ -

شعر السِّيَر أو الملاحم

هذا فن من الشعر يكاد أدب الفقهاء يمتاز به ، فيدفع الوصمة عن الأدب العربي التي يلصقها به كثير من النقاد حين يتحدثون عن خلوه من الملحمة أو من الشعر القصصي في الجملة ، وهو الشعر الذي حفلت به الآداب الأجنبية ، شرقيها وغربيها وخلد حقباً من تواريخ بعض الشعوب ومواقف بطولية لبعض القادة ، بحيث يُعَدُّ نشيد الأنشاد ، وسجل الأمجاد ، في الأوطان التي تعتزُّ بما أنتجته قرائح شعرائها الموهوبين منه . وإذا كان بعض الكتاب لا يُسلِّمون بخلو الأدب العربي من هذا اللون من الشعر ، ويلتمسون له جذوراً في المعلّقات وبعض القصص الشعبية كسيرة بني هلال وسيف بن ذي يزن ، فانهم يغفلون عن القصائد الطوال الجياد التي نظمها أدباء الفقهاء في سيرة الرسول (ﷺ) وأصحابه الكرام ، ومنها ما هو في الذروة من الصناعة الشعرية وبلاغة القول ، حتى إن الأجيال المتعاقبة من لَدُن قيلت هذه القصائد لم تفتأ تتغنى بها وتنشدها في المحافل التي تقام بالمناسبات المَقُولة فيها . وتلك مثل قصيدَتي البردة والهمزية للبوصيري ، وقصيدة الوتْريات للبغدادي ، فهذه القصائد وأمثالها من شعر السِّيَر هي أحق بأن تُصنَّف في شعر الملاحم من المعلّقات والقصص المذكورة ، لأنها أطول نفساً وأكثر حوادثَ وأغنى بصور البطولة والكفاح من أجل إثبات الوجود العربي ، وإعلان رسالة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الإسلام المقدسة التي أحلت العربَ محلَّ الصدارة بين الأمم ذات التاريخ المشرق والمجد العريق .

وهل تُقاس معلقة عمرو بن كلثوم مثلاً بقصيدة البردة وما اشتملت عليه من فنون القول كالنسيب الذي يُرقّق الطِّباع ، والحكمة المزكية للنفس ، والإعلان عن مولد صاحب الدعوة الإسلامية (ﷺ) وما صاحبه من الآيات والعجائب ، ما صحَّ منها وما يُروَى عن طريق الرُّؤَى والتجلِّيات ، لأن المقامَ للخيال الشعري أكثرُ مما هو للتحقيق العلمي ، ثم ذكر جهاده بعد النبوة لإعلاء كلمة الله ، وما لاقاه من المشركين من مقاومة وأذى ، واستماتةِ المؤمنين به في نصرته وتأييده ، حتى علا الحق وانتصر دين التوحيد على خرافات الجاهلية ووثنيتها ، واندفع المارد العربي إلى فتوحاته وتوطيد سيادته على العالم بالقوة والعلم والدين الجديد الذي كشف الرَّانَ عن القلوب ، وفتح العيون على الحقيقة ، وهدى الناس إلى الصراط المستقيم . هذه القصيدة العظيمة التي لم يملك أمير الشعراء أحمد شوقي نفسَه حتى عارضَها بقصيدته نهْج البردة ، فجال مثلَ البوصيري جولاتٍ في ميدان الإشادة بالدعوة المحمدية وجهاد المؤمنين من أجل نصرتها ، ولكن بلغة العصر وفكرته ، فكان من ضمن ما قاله فيها مُفنِّداً المتقوِّلين على مشروعية الجهاد في الإسلام :

قالوا غزوتَ ورُسْلُ الله ما بُعثُوا ... لقتل نفس ولا جاءوا بسفك دم
جهلٌ وتضليلُ أحلام وسفسطةٌ ... فتحتَ بالسيف بعد الفتح بالقلم
لما أتى لك عفواً كلُّ ذي خَطَر ... تكفَّل السيفُ بالجهال والعَمَم
والشرُّ إن تلقَه بالخير ضقتَ به ... ذرعاً وإن تلقه بالشر ينحسم

ويقول في حضارة الإسلام ومقارنتها بالحضارات الشرقية والغربية :

واترُكْ رعَمْسيس إن الملك مظهرُه ... في نَهْضة العدل لا في نهْضة الهرم
دار الشرائع رُوما كلما ذُكِرت ... دارُ السلام كلما ألقتْ يدَ السَّلَم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

كيف لا تكون البردة ملحمة شعرية وذلك مضمونها وهذا تأثيرها ، حتى على أكبر شاعر عربي في عصرنا الماضي ؟ أتكون الالياذة لهوميروس ملحمة لأن بطلها أخيل ، والإنيادة لفرجيل كذلك ملحمة لأن بطلها اينياس ، ولا تكون البردة أو الهمزية ملحمة لأن بطلها محمد بن عبد الله ؟ . .

أخشى أن تكون بدعةُ فصل الدين عن الدولة تسربت أيضاً إلى الأدب ، وزلّةُ إبعاد الدين عن القومية شملت حتى الشعر ، ولذلك يغض كتابُنا نظرهم عن هذه الأعمال الأدبية الرائعة التي تمتُّ إلى الدين ، والدين الإسلامي بالخصوص — بصلة أو سبب ، وهذا بالإضافة إلى تزهيد بعض إخواننا السلفيين في هذه القصائد لما تتضمنه من مبالغة غير جائزة شرعاً في بعض المواضع ، تلك المبالغة التي نحمّلها نحن على توخّي البلاغة كما هي عادة الشعراء لا على مخالفة العقيدة ، أو هي هفْوةٌ على كل حال كان من الممكن التجاوزُ عنها لِقاءَ ما تطفح به هذه القصائد من معان سامية ومقاصد شريفة ، حتى لا يقضي عليها عاملا الإفراط والتفريط .

وكيفما كان الأمر فعندنا من هذا الشعر لأدباء الفقهاء قصيدةُ الشقراطيسية ، ومُطوّلة ابنِ أبي الخصال المسماة بمعْراج المناقب ، وقد سبق الكلام عليها في باب المدح ، ولامية أبي إسحاق التلمساني التي يقول في مطلعها :

ألا في سبيل الله ما أنا قائل لِيُجنَى به أمْنٌ وفوزٌ ونائل

وقصيدة الوتريات لابن رَشيد البغدادي وهي تسعة وعشرون نشيداً على عدد حروف المعجم بزيادة لام الألف ، في كل نشيد واحد وعشرون بيتاً مع التزام حرف الروي في أول كل بيت ، وأولها من حرف الألف :

أصلّي صلاةً تملأ الأرض والسما على من له أعلى العُلا متبوّأ (١)

(١) كتبنا عن البغدادي ووترياته بحثاً ألقي في مؤتمر مجمع اللغة العربية الذي عقد ببغداد في نوفمبر ١٩٦٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقصيدة الوسيلة الكبرى لمالك بن المُرَحَّل ، وهي كذلك مرتبة على حروف المعجم وملتزمة الابتداء بحرف الروي ، وفي كل حرف منها عشرون بيتاً ، وأولها :

إلى المصطفى أهديتُ غُرَّ ثنائي فيا طيبَ إهدائي وحُسْنَ هدائي

ثم قصيدة المُعَشَّرات النبوية له ، وهي على نمط الوسيلة ، إلا أن في كل حرف منها عشرة أبيات فقط ، أولها وقد التزم فيه الميم ثانياً وقبل حرف الروي :

أمالي إلى قبر النبي مُبلِّغ سلاماً فقد أفنى الزمان ذَمائي

وديوان الوسائل المتقبلة لأبي زيد الفازازي ، ويشتمل على قصائد عشرينية بعدد حروف المعجم ، مُفْتَتَحَة الأبيات بحرف الروي على طريقة اللزوم كسابقاتها وأولها :

أحقُّ عباد الله بالمجد والصلا نبي له أعلى الجنان مُبَوَّأُ

وهذا الديوان مطبوع مع تخميس له جيد لابن المهيب من علماء الصحراء المغربية .

والملاحظ أن كلاً من الفازازي وابن المرحَّل وصاحب الوتريات ، من أهل القرن السابع الهجري ، إلا أن أقدمهم وفاة هو الفازازي ، فلا شك أنه مُقتَدام في هذه الطريقة من النظم ، لا سيما والبغدادي صاحب الوتريات قد عاش في المغرب ، وكان قدومه إليه بعد وفاة الفازازي بقليل . فغير بعيد أن يكون اطَّلع على ديوانه ، وأنشأ وترياته على وِزَانه ، ويظهر ذلك من تَشابُه المطلعَين اللذين أنشدناهما من حرف الهمزة لكل واحد منها . على أن وتريات البغدادي أكثر سيرورةً وتداولاً بين الأدباء الذين شطَّروها وخمَّسوها وعارضوها ، ولذلك ذكرناها أولاً . زد على هذا أن الفازازي وابن المرحَّل هما في غالب أمرهما من الشعراء بخلاف البغدادي فهو من الفقهاء والعلماء والوعاظ . ومع ذلك فان في ذكر قصائد هذين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الشاعرين وإن خرجتْ عن شرطنا ، تنبيهاً للباحثين إلى درسها هي وما ضاهاها من مطولات الأدباء عموماً في هذا البـاب عند التعرض لشعر الملاحم في الأدب العربي .

وفي فن المقصورات عندنا مقصورة ابن جابر الأندلسي ، وأولها :

بَادَر قلبي للهوى وما ارْتَأى لمَّا رأى من حُسْنها ما قد رأى

ومقصورة الإمام الصَّرْصَري ومطلعها :

ما بين قرب وبعـــاد وقِلى وبين ليتَ ولعلَّ وعَسى

ضاع زماني ووهتْ شَبِيبتي وصَوَّح المُخضَرُّ منها وذوَى

ومقصورة المكودي وقد سبق الكلام عليها في باب المدح .

ومقصورة النبهاني من أهل عصرنا وأولها :

أحَبُّ لي من كل ما فوق الثرى عُرْبُ النَّقا رُوحي فِدَا عُرْبِ النَّقى

وأصحاب هذه المقصورات كلهم من أهل العلم والفقـــه ، إلا ابن جابر الذي يغلب أن يعد في الشعراء ، فيقال في ذكر مقصورته ما قيل في ذكر قصائد من قبله .

وأخيراً لا آخراً عندنا في هذا الباب كذلك ميميَّة حَمْدُون بن الحاج المسماة بعقود الفاتحة ، وهي أطول القصائد التي عرفناها في الموضوع لأنهـا نحو ٤٠٠٠ بيت وأولها :

هبَّت قَمارِيُّ بين البانِ والعلَم تُملي شمائلَ أقمارٍ بِذي سَلَم

ويطول بنا الكلام إذا حاولنا أن نتعرض لهذه القصائد ، وكلهـا من ذوات المئات ، بالنقد والتحليل ، ونقارن بينها وبين المعلقات وغيرها ، لنتبين أيها أحق بوصف الملحمة الشعرية في مفهومها الأدبي ، ولكنا نعرض لواحدة منها فقط ، ولتكن هي همزية البوصيري ، فنقدمها كنموذج ، ونتناولها من حيث الشكل والمضمون بشيء من التعليق يقفنا على محتواها وقيمتها الأدبية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

إن همزية البوصيري تتألف من ٤٥٦ بيتٍ ، وبذلك تكون وسطاً بين القصائد التي تعُدُّ الفَ بيت فأكثر ، والتي جاوزت المائة ولم تصل إلى هذا العدد . وهي من بحر الخفيف ، وهو بحر مِطْوَاع سواء من الناحية العَروضية أو الإيقاعية ، ولذلك سلِمتْ من الحشْو في نظمها وخضَعت من حيث التلحين لعدة نغَمات موسيقية كنغمة الاستهلال والحجاز وعِراق العَجم ورَمْل المايَة ورَصْد الذيل وغَريبة الحُسَيْن والشرقي والأصبهان وغير ذلك . أما قافيتُها فهي الهمزة المضمومة ، وقد أشبهت فيها وفي وزنها معلقة الحارث بن حِلزّة ، واقتبس البوصيري منها عجُز مطلعها « رُبَّ ثاوٍ يُملُّ منه الثواء » وضمَّنه بعض أبياته ، وتزيد الهمزية على المعلقة ٣٧٢ بيتاً ، إذ أن عدد أبيات هذه ٨٤ بيتاً فقط .

تبتدئ الهمزية بهذا البيت :

كيف ترقَى رُقيَّك الأنبياءُ يا سماءً ما طاوَلَتْها سماءُ ؟

وهو بيت بليغ جداً ، وإن شئت قلت مُبالغ ، فانه وإن كان يُلمِّح إلى قصة المعراج ، إلا أن بعض العلماء يرى أن لو كان لم يتعرض لذكر الأنبياء بهذه الصورة ، لنهيه (ﷺ) عن تفضيله على غيره من الأنبياء ، ومن ثَم قال العلامة ابنُ زكري في مطلع همزيته التي عارض بها همزية البوصيري :

ربَّنـــا للنبي منكَ الجزاءُ تقتضيه الأرواحُ والأجزاء

أما النَّبْهاني الذي له أيضاً معارضة الهمزية بمطولة تبلغ ألفَ بيت ، فقد جرى على سنَن البوصيري إذ قال في مطلعه :

نُورُك الكلُّ والورى أجزاء يا نبياً من جُنْده الأنبياء

ويتمادى البوصيري في مدحه للنبي (ﷺ) على هذه الطريقة ، طريقةِ الخطاب والمُقارنة متخلصاً بذكر تنقُّله في الأصلاب الرفيعة والأرحام الطاهرة ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وبشارة الأنبياء به عبرَ العصور إلى مولده الشريف ، وما ظهر فيه من العجائب :

ليلةُ المولد الذي كان للدِّ ينِ سُرورٌ بيومه وازدهاء
وتوالتْ بُشرَى الهواتف أنْ قد وُلِد المصطفى وحقَّ الهناء
وتداعَى ايوانُ كِسْرى ولولا آيةٌ منك ما تداعَى البناء

إلى غير ذلك من الآيات وكيفية ولادته ، ثم رَضاعه في بني سَعْد ، وما رأته مُرضِعتُه منذ حل في بيتها من الخير والبركة إلى أن فصلته بسبب خوفها عليه مِمَّا وقع له من مُعجزة شَقِّ صدره الشريف :

وأتت جدَّه وقد فصلتْه وبها من فِصاله البُرحاء
إذ أحاطتْ به ملائكةُ الله فظنَّت بأنهم قُرَناء
فارقتْه كرهاً وكان لديها ثاوياً لا يُمَلُّ منه الثواء
شُقَّ عن قلبه وأُخرِجَ منه مُضغةٌ عند غسله سَوْداء

ويذكر البوصيري بعد ذلك نشأته المثالية ، وتأهبه لتلقي أمانة الرسالة ، وزواجه بالسيدة خديجة بدعوة منها كما يقول لِمَا رأته فيه من العفة والنزاهة والحياء ، وكانت ذات خبرة ونظر سديد ، فلما جاءه الوحي وهو في بيتها أرادت أن تتأكد من أمره ، فكشفت عن شعرها لأنها علمت من ابن عمها ورَقَة بنِ نَوْفل ، وكان نصرانياً ، أن الملائكة لا تحضُر محلاً فيه امرأة مكشوفة :

وأتاه في بيتها جبْرئيلُ ولِذي اللب في الأمور ارْتياء
فأماطت عنها الخِمارَ لتدري أهُو الوحي أم هُو الإغماء
فاختفَى عند كشفها الرأس جبْريلُ فما عاد أو أُعيد الغطاء
فاستبانتْ خديجةُ أنه الكنزُ الذي حاولتْه والكيمياء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ويصف البوصيري قيامَه (ﷺ) بالدعوة ، وما لاقاه من المشركين من التكذيب والأذى ، وتآمُرَهم عليه ، وكتابةَ الصحيفة التي قاطع بها الملأ من قريش قومَه بني هاشم وبني المطلب ، ثم نقْضَها ، وترددَ أمره بين مُكابدة مشَاقِّ الدعوة ، وتربية المؤمنين القلائل الذين اتبعوه ، إلى أن انتشرت دعوتُه في المدينة المنورة ، ومهَّد ذلك إلى هجرته إليها ، وهو لا يذكُر هذه الأحداث بحسب ترتيبها الزمني ، بل بحسب المناسبة التي يقتضيها النظمُ وفنُّ القول ، كأن يشبه حدثاً بآخر ، أو يُزاوج بين الأحداث المشاكلة الكلامية ، مما يجعل الصناعة الشعرية والأساليب البيانية هي المتحكمة ، لا سَرْد الوقائع ومُوَاكبة الزمن . ومما يزيد في القيمة الأدبية للهمزية أن البوصيري يُخلِّل هذه الأحداث بذكر المعجزات التي صحبتْها أو ناسبتها مما رُوي في الصِّحاح أو كتُب السيرة وحتى الموالد منها ، مُخيِّلاً بها ومُضْفياً على عمله حُلَّة الإعجاب والإبداع ، وهذا إلى ما يُقحِمه في أثناء الأخبار ويثيره من عواطفَ ومشاعر تُناسب الموقف وتشدُّ النظر إلى موضع العبرة فيه . فهو يقول في مُضايقة قريش له :

ويْحَ قومٍ جفوا نبياً بأرض ألِفتْه ضِباؤها والظباء
وسلَوْهُ وحنَّ جِذعٌ إليه وقلَوْهُ وودَّه الغُرباء

ففي هذين البيتين يلتقي المِزاجُ الرومانسي للشاعر بالأحداث التي وقعت للنبي على سبيل المعجزة فيُكيِّفُها بشعور العطف والتأثر ويقدم لنا صورة شعرية مؤثرة لا وقائع من السيرة يحتاج بيانها إلى عدة صفحات .

وبعد هذا القسم الطويل يدخل الناظم في ذكر أوصافه (ﷺ) الخَلقية والخُلقية فيفيض في ذلك ويتفنن ماشاء ، وهي أوصاف لا تليق إلا بمقام النبوَّة ومن ضمنها هذا البيت الذي يشتمل على معنى فريد :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

كرُمتْ نفسُه فما يخطرُ السو ء على قلبه ولا الفحشاء

ثم يخص بعض أطرافه الشريفة بالوصف فيقول في وجهه الكريم :

ليتَه خصَّني برؤية وجهٍ زال عن كل من رآه الشقاء

ويُوالي الوصف بما يليق بالوجه من جمال حسّي ومعنوي ومخايل النبل والكرم ، ولا تغفل عما في قوله ليته خصني من دلالة على الطبيعه الأدبية والرومانسية لقصيدة الهمزية ، فهي ليست كتاباً أو نظماً للسيرة ولكنها عمل فنّي ذاتي موضوعه السيرة ،

ويقول في وصف يده عاطفاً على قوله برؤية وجهه :

أو بتقبيل راحةٍ كان للـــــه وبالله أخذُها والعطاء

ويتابع وصفها بما صدر عنها من أعمال كبيرة ومعجزات خارقة للعـــادة .

ثم يختم بوصف قدمه فيقول :

أوْ بلثْم التراب من قدَمٍ لا نتْ حياءً من مشْيها الصَّفْواء

ويُلمُّ بما يتعلق بها من معجزات ومساعٍ حميدة لا أرى بُدّاً من رواية بيت آخر مما يقوله فيها ، لأن إعجابي به لا يقف عند حد وهو هذا :

فهْيَ قُطْبُ المحْرابِ والحَرْب كم دا رَتْ عليْها في طاعةٍ أرْحَاء

وهو يقصد بالطاعة هنا الصلاة والجهـاد ، ففيه رد العجز على الصدر بطريقة عجيبة .

ويدخل البوصيري إثْرَ ذلك في ضرب آخر من الكلام وهو فتحُ باب الجدال والمناقشة مع الكفار ثم اليهود والنصارى ، ويرد مطاعنهم على الإسلام فيقول :

عجباً للكفار زَادُوا ضلالاً بالذي للعقول فيـه اهْتداء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهـــذا القِسْم طويل يكفينا أن نحيل عليه ، وهو يختمه بالكلام على الأحلاف التي كان المشركون يعقدونها مع يهود المدينة لمقاومة الدين الجديد ، وما جرَّتْ عليها معاً من الوبال ، وكل ذلك بطريقته التي أشرنا إليها ، فلا تظُنَّ أنه مجرد تسجيل للأحداث التاريخية ، وزاد في طرافة هذا القسم أنه كاد يكون حِواراً كلُّه ، يَعْتَمِدُ فيه الشاعر على العقل والمنطق من غير إخلال بلغة الشعر والبيان .

ويلي ذلك الكلامُ على فتح مكة وانهيار مقاومة المشركين له ، وعفوه عن قريش وانْتِصَار الإسلام :

فعفا عفْوَ قادِرٍ لم يُنَغِّصْـــــه عليهم بما مَضى إغراء
وإذا كان القطعُ والوصلُ للّـــــه تساوى التقْرِيبُ والإقصاء

ثم يقول البوصيري بعد ذلك :

النبيُّ الأميُّ أعلَمُ من أسْـــــنَد عنه الرُّواةُ والحكماء
وعَدَتْني ازْديارَه العامَ وجْنـــــاءُ ومنَّت بوعْدها الوجْنَاء

ويمضي في وصف ناقته ورحلته إلى الحجاز والمراحل التي قطعها من مصر إلى مكة فالمدينة ، وأعمال الحج والزيارة حين يقول :

فحَطَطْنا الرِّحال حيث يُحطُّ الـــــوِزْرُ عنَّا وتُرفَع الحَوْجاء
وقرأنا السلامَ أكرمَ خلْق اللّـــــه مِن حيثُ يُسمَعُ الإقراء
وذهَلْنا عند اللِّقاء وكَمْ أذْ هَل صبّاً من الحبيبِ لقاء
ووَجَمْنَا من المهَابة حتَّى لا كلامٌ منَّـــا ولا إيماء

ويدخل البوصيري بعـــد ذلك في قِسْم يمكن أن نسميه قسم المُناجاة ، فيخاطب النبي مُقْسِماً عليه قَسَماً أدبياً ببعض صفاته ومُعْجِزاته التي لم يسبق له ذكْرُها وبأصحابه الكرام ، الخلفاء الراشدين وبَقية العشرة المُبشَّرة وعمَّيْه حمزةَ والعباس وسِبْطيْه الكريمين وأمِّهما الزَّهراء ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

سائلاً منه الشفاعة والأمنَ يومَ الفزع الأكبر والنَّجاة من العذاب إلى آخره ، مما لا يُسألُ عندنا إلا من الله عز وجل ، ولكنا نقول مرةً أخرى إن الرجل وإن هَفا هـــذه الهفْوة ، فسبيلُه في ذلك سبيلُ الأدباء الذين تحملُهم المبالغة في المدح على الوقوع في بعض المخالفات . ومن ثَم قُلْنا في قَسَمِه هذا انه قَسَمُ أدبي حتى لا يورَدَ عليه أن القَسَم لا يكون إلا بالله . وعلى أي حال فقد رقَّق البوصيري في هـذا القسم غايةَ الترقيق ، وتوسَّل بألطف العبارة ، وأشفق من ذنبه وأعترف بتقصيره ، وأعْرَب عن ذات نفسه بما لا كِفاءَ له في الحسن والبلاغة والانسجام . وإليك قولَه في أوله :

يا أبا القاسم الذي ضَمْنُ إقسا مي عليه ، مدحٌ له وثناء
بالعُلوم التي عليكَ مِنَ الا ـــــه بلا كاتبٍ لها ، إملاء
ومَسير الصَّبا بنصْرِك شهرا فكأنَّ الصَّبَا لديْك رُخاء

وقولَه في آل البيت :

آل بيتِ النبي طِبتُم فَطابَ المـــــدحُ لي فيكمُ وطابَ الرِّثاء
أنا (حسَّانُ) مدْحِكم فاذا نحْـــــتُ عليكم فاني (الخَنْسَاء)

وقولَه متضرِّعاً :

آهِ مما جنيتُ إن كان يُغني أليفٌ من عظيم ذنبٍ وهَاء
أرتجي توبةً نصُوحاً وفي القلـــــبِ نِفاقٌ وفي اللسان رِياء
ومَتى يستقيمُ قلبي وللجسْـــــم اعْوجاجٌ من كِبْرتي وانْحناء

هذه هي الهمزية في خُطوطها العريضة وأغراضها المتنوعـــة أفلا يرى القارئُ معي أنها من أجمل شعر اللاحم أو الشعر القصصي على العموم ؟ ومع ذلك فاني لا أرى لِزاماً أن يُقلِّد الأدبُ العربي الأدبَ الأجنبي في كل خصائصه ومميزاته وأسمائه واصطلاحاته ، فأُفَضِّلُ أن نُطلق على هذا اللون

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

من الشعر ، اسمَ شِعْر السِّيَر ، ونجعلَه في مقابل شعر الملاحم عند غيرنا ، على أن نُبْرزَه ونُحْسِن عَرْضَه ونُدْخِله في عِداد الفنون الشعرية ولا يبقى عُرْضةً للإهمال وعَدم الاحتفال .

ومَا قيل في همزية البوصيري يُقال في بردته وفي بقيةِ القصائد التي ألمعنا اليها ، وغيرِها مما لم نذكره ، فإنها كلها غُرَرٌ ودُرَرٌ منْ هذا الفن الشعري الجميل ، وأمَّا قبلُ وبعدُ فإنها من أدب الفقهاء الذي يزْرِي به مَن يُرسلون الكلام على عواهنه ، وهو أحقٌّ أن يكون مفخرةً للأدب العربي وجوهرةً لامعةً في تاجه الوضَّاء .

عبد الله كنون

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net